# المنهج الصوفي
# في
# الأخلاق

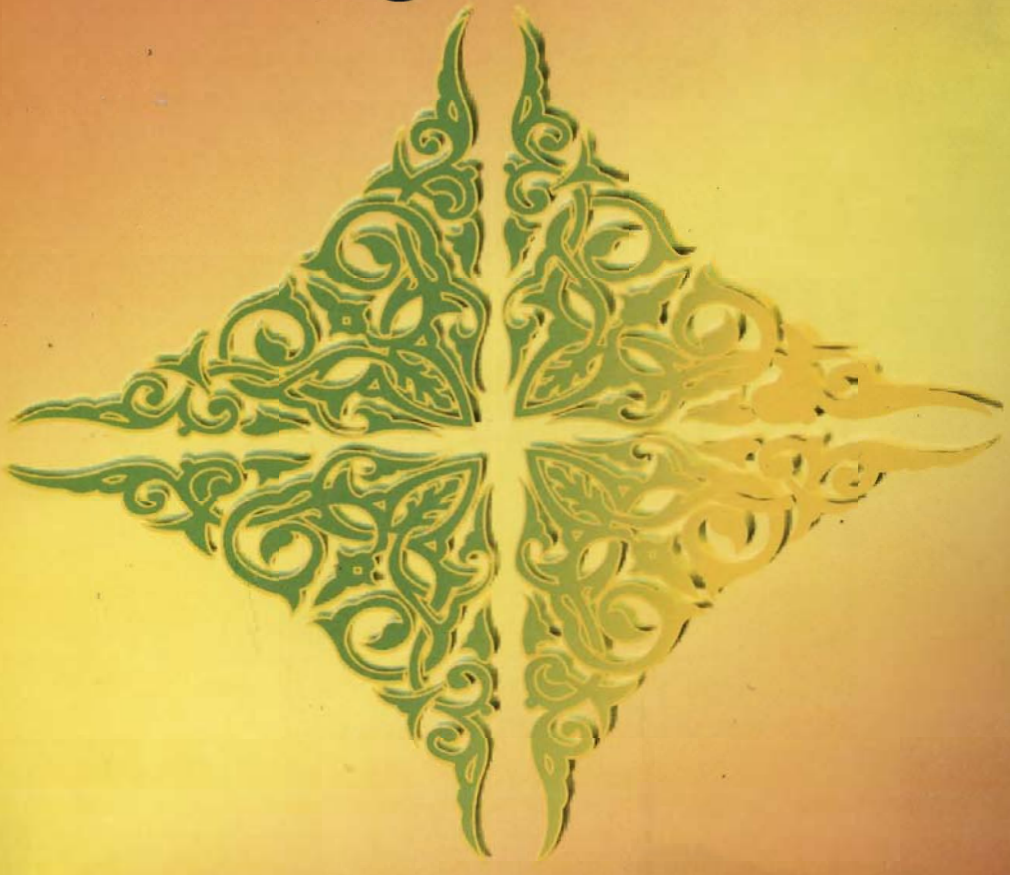

محمد يوسف نور

جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

# المنهج الصوفي
# في
# الأخلاق

Perpustakaan KUIM
Unit
Arkib

# المنهج الصوفي في الأخلاق


تان سري الدكتور

**محمد يوسف نور**

دكتوراه (القاهرة)، ماجستير (الأزهر)

دبلوم في التربية ( عين شمس)

رئيس مجلس إدارة جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا



جَامعَة العُلوْم الإسْلاميَّة بماليزيا

الطبعة الأولى ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ

© كل الحقوق محفوظة لجامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

لا يسمح بإعادة طبع أو تصوير كل أو أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل من الأشكال الإلكترونية، أو الآلية بما في ذلك التصوير أو النسخ أو التسجيل الصوتي أو التخزين الإلكتروني إلا بموافقة خطيّة مسبقة من الناشر.

**الناشر**

قسم النشر / Publication Unit
جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا / **Kolej Universiti Islam Malaysia**
Level 11, Menara A, Persiaran MPAJ, Jalan Pandan Utama,
Pandan Indah, 55100 Kuala Lumpur.
Telephone : 03-42892139 Fax : 03-2892129

GIFT / DONATION
SUMBANGAN IKHLAS
WITH BEST COMPLIMENTS
FROM: Unit Penerbitan KUIM
DATE: 20.05.2004
ACC. NO:

**الطابع**

**Green Image Communication.**
21M, Jalan Maju 1/16,
Taman Lembah Maju,
56100 Kuala Lumpur.
Telephone : 03-42805215 Fax : 03-42957044

رقم التسلسل الدولي ISBN 983-41007-3-6

Perpustakaan Negara Malaysia Data Pengkatalogan-dalam-penerbitan

Mohd Yusof Noor, Tan Sri
[Al-Manhaj Al-Sufi Fi Al-Akhlaq] / المنهج الصوفي في الأخلاق
Tan Sri Mohd Yusof
ISBN 983-41007-3-6
1.Sufism. 2. Islam-Customs and Practice. 3. Religions life-Islam
I.Title
297.44

بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقدّمة

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد ...

فكانت نواة هذه الدراسة بحثين موجزين قدمتهما في نهاية عام ١٩٧١م للمرحوم الأستاذ الدكتور محمود قاسم وهما : "الخير والشر في الفكر الإسلامي" و"الضمير الأخلاقي عند الصوفية"، وقد وجدت في أثناء القيام بعملية البحث في هذين الموضوعين أن المشكلة الرئيسة القائمة التي تحتاج إلى الدراسة هي المشكلة الأخلاقية حيث إنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة الإنسانية كلها. وقد حاول الكثير من المفكرين والباحثين معالجة هذه المشكلة ولكنها ظلت قائمة، و لم تستطع بحوث هؤلاء العلماء أن ترضي العقول وتقنع النفوس.

ولما كان الأمر كذلك فلا بد أن تعالج هذه القضية بطريقة أخرى، وهي الطريقة التي سلكها الصوفية، ومن المعروف أنهم لا يعتبرون الأخلاق مشكلة تستحق أن تذكر لأنه لا تظهر عندهم مشكلة إلا حلّوها عن طريق العمل والتأمل الباطني.

وعند ما اجتمعْتُ في يوم من الأيام مع الأستاذ المرحوم في مكتبه بعد قراءته للبحثين المذكورين قال لي : ما رأيك إذا اقترحْتُ عليك بأن يكون موضوع رسالتك للدكتوراه بعنوان: المنهج الصوفي في الأخلاق؟ فسكت هنيهة لأفكر في الموضوع ثم قلت : أوافق على اقتراحكم على أساس أنني متيقن بأنكم ستمدون لي يد المساعدة لإنجاح هذه المهمة، ثم قال لي أخيراً : إني مستعد للإشراف على

الرسالة.

هكذا تم الاتفاق بيني وبين الأستاذ المرحوم لبدء مهمة أعرف أنها شاقة، وعويصة إلا أنني اعتزمْتُ ونويْتُ في نفسي أن أقوم بدراسة هذا الموضوع مهما كانت الظروف، وأتغلب على الصعوبة التي سألقاها في تكوين فكرة عامة متسقة عن الأخلاق في التراث الصوفي وهي الصعوبة التي ذكرها الأستاذ الدكتور كمال جعفر في كتابه "في الفلسفة و الأخلاق"، صحيح أن هذه الصعوبة قد صرفت الكثيرين عن معالجة موضوع الأخلاق في التصوف ككل إلى علاجه لدى صوفي معين يعطي صورة أخلاقية عن التصوف عموماً، إلا أنني أرى أنه في استطاعتي أن أعالج موضوع الأخلاق عند الصوفية ككل نظراً إلى أنهم لا يختلفون في منهجهم الأساسي الوحيد وهو المنهج الباطني.

فعلى هذا المنهج انتشرت الصوفية وتشعبَتْ آراؤهم ونظرياتهم في موضوعات مختلفة وظل الباطن منهجاً متبعاً عندهم، فلا ينبغي أن نفهم المنهج الصوفي في هذا البحث بالطرق أو النظريات التي انتهى إليها كل واحد من الصوفية، لأن ذلك يتطلب دراسة وتتبع جميع آراء الصوفية الذين ظهروا على وجه هذه الأرض، وهناك كثير من الصوفية الذين تركوا هذه الدنيا الفانية و لم يتركوا وراءهم آثاراً يستطيع أن يرجع إليها مَنْ عاش بعدهم.

فالمنهج الصوفي الذي تتغنى به الشفاه وترددده ألسنة العلماء لا بد أن يقصد به الأساس الذي يبني عليه الصوفية مذهبهم ونظرياتهم. هذا الأساس هو الباطن، وعليه نهج الصوفية للوصول إلى ماهم فيه، وأصبح الباطن منهجاً صوفياً اعتمد في بدايته على العقل والشرع ثم طغى عليه الباطن، فقووا نفوسهم بالكشف والمشاهدة والذوق عن طريق المجاهدات.

ولذلك فقد أكثرت – نوعا ما – في هذا البحث من ذكر النصوص الصوفية بغية إثبات اعتماد الصوفية على الباطن وإشعار القراء بما يجول في نفوس الصوفية الرقيقة الشفافة.

إنني أجد أن المنهج الفلسفي في دراسة الأخلاق يجعل النفس أساس المشكلات الأخلاقية كلها حيث إن النفس التي لا تكشفها العقول ظلت سراً من أسرار الكون، ففكّر الفلاسفة أنهم إذا حلوا مشكلات النفس انحلت المشكلات الأخلاقية الأخرى. هنا يختلف الصوفية عن المنهج الفلسفي في نظرهم إلى المشكلات الأخلاقية حيث إنهم يرون أن حقيقة النفس مبينة في القرآن الذي وصفها بثلاثة أوصاف وهي: المطمئنة واللوامة والأمّارة ثم عالجوها بطريق عملي مستندين إلى الأوامر والنواهي الدينية ثم يستشفونها حتى تتضح أمامهم الطرق المؤدية إلى سعادة تلك النفس التي ظلت مشكلة عند فلاسفة الأخلاق.

و لم يبق هناك ما يشغل أفكار الصوفية سوى موضوعات خارجة عن نطاق الطبيعة أهمها: "الله" ثم تليه قضايا أخرى وهي : الحرية والخير والشر والسعادة، فيدور حولها المحور الأخلاقي عند الصوفية الذين تتبعنا آراءهم ابتداء من حذيفة بن اليمان رضي الله عنه إلى عبدالوهاب الشعراني بالرجوع إلى كتب الصوفية أنفسهم بجانب المؤلفات الحديثة.

كان الباب الأول من هذا البحث دائراً حول نشأة المنهج الصوفي وتكلمْتُ فيه عن التعريف بالمنهج الصوفي وعصر نشأة هذا المنهج، ومنابع التصوف والتطور الفكري فيه.

وفي الباب الثاني فصلنا المشكلات الأخلاقية عند الصوفية في مدخل يليه قسمان

هما الجانب النظري والجانب العملي. وفي الجانب العملي قسمنا البحث إلى فصلين هما الفضيلة والرذيلة، ثم ألهينا هذا الباب بملحق عن السلوك اليومي عند الصوفية.

أما الباب الثالث فقد قسمته إلى أربعة فصول وهي : الشرق القديم والفلسفة الإغريقية، والقرون الوسطى والعصر الحديث. وتكلمنا أخيراً - بإيجاز - عن الفكر الصوفي في ماليزيا بدافع الرغبة في تعريف ما يدور في هذه البقعة من الأرض في المجال الصوفي.

وقد تبيَّن لنا أن الأخلاق عند الصوفية تنصبُّ على أمور باطنية روحية، أما عند غيرهم فتنصبُّ على أمور معيشية. وهي على وجه الإجمال نفثات موجهة إلى غاية واحدة هي : إصلاح القلوب، والوسيلة إلى ذلك هي التذكير بحقارة الدنيا والترغيب في الأعمال الصالحات، فالزاهد - حين لا يفكر إلا في إعداد النفس ليوم الحساب - يخشى الله دائماً في كل قول أو عمل. والمؤمن - الذي يتلو كل يوم أوراده سواء بالليل أو النهار، أو يردد الدعاء في مختلف الأحوال - لا شك يظفر بثروة نفسية من الألفاظ والتعابير اللتين لها سلطان خفي أو ملحوظ على كلامه وتفكيره وذلك مغنم ليس بالقليل. إنها رياضة على حسن الأدب مع الله فهي تمثل قدرته ورحمته في كل لحظة يهم فيها المرء بعمل حقير أو جليل. وشعور المؤمن بعظمة ربه هو أساس الخوف من الكبائر والصغائر والرغبة في التقرب إليه بصالح الأعمال.

إنّ للصوفية - في الأدعية - آداباً جملتها تبين كيف يحرص الصوفية على صفاء النفس وكيف يعدونها لتلقي النفحات الإلهية، ولنا أن نتصور حالة النفس حين تروّض على هذه الأداب، فوصل النفس بالله وانتظارها لفضله في ثقة ويقين كل ذلك من العوامل المهمة في صقل النفس وتطهير القلب وتربية الوجدان. وانتظار

الخير كله من الله وتهيئة النفس لذلك باب أصيل في بناء الملكات الأخلاقية ولا سيما إذا لاحظنا مخلصين أن الأمر كله بيد الله، وأن العبد لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً.

وأخيراً... يجدر بنا أن نذكر بأنه لم يمض على إشراف المرحوم الأستاذ الدكتور محمود قاسم أكثر من سنة وأربعة شهور حتى وافته المنية وانتقل إلى جوار ربه في ٢٩ أغسطس عام ١٩٧٤م، وقد تأثرنا بهذا الفاجع تأثراً كبيراً. وبعد فترة، تم تحويل الإشراف إلى الأستاذ الدكتور محمد كمال جعفر، ولما كان فضيلته معاراً إلى الخارج فقد تفضَّل بالإشراف على هذا البحث فضيلة الأستاذ الدكتور صالح موسى شرف - عضو هيئة كبار العلماء والأستاذ سابقاً في كلية أصول الدين - رغم انشغاله بالإشراف على الرسائل العلمية الأخرى والدراسات العليا في جامعة الأزهر بقسم العقيدة والفلسفة، حرصًا على نشر العلم ورغبة منه في خدمة الدين بعد أن وافق على ذلك مجلس كلية دار العلوم، فنسأل الله تعالى أن يجزيه عنّا خير الجزاء، والله نسأل أن يوفقنا ويهدينا إلى سبيل الرشاد، إنه خير مسؤول وأكرم مأمول.

**محمد يوسف نور**

# المنهج الصوفي في الأخلاق

يتناول هذا البحث القيِّم قضية مهمة من قضايا الفكر الصوفي، وهي الأخلاق، والأخلاق تمثِّل جوهر الإسلام، وروحه السارية في جميع جوانبه.

يتناول الفكر الصوفي في معرفة الحقائق أربعة أشياء أساسية وهي الله والإنسان والأخلاق والطبيعة، لأن الدين من الله، والفكر من شأن الإنسان، والتعبد من شأن الأخلاق، والتطور هو من شأن الطبيعة، إن هذه الأمور الأربعة عند الصوفية إذا تجاوزت الحدود الموضَّحة في الشريعة، وتخطَّت الدائرة الخاضعة للعقل، أصبحت لا تستند إلى العقل ولا الحواس ولا التجربة المادية، ولكنها تستند إلى شيء وراء تلك الأشياء، وهو الباطن الذي اتخذوه منهجاً لهم.

وبناءً على ذلك يمكن القول بأن المنهج الصوفي هو المنهج الباطني، الذي يستعين بالذوق، والكشف، والاستعداد الشخصي، والفراسة، للوصول إلى طريقة عملية يطمئن إليها صاحبها وفي مجال ترتيب الأولويات، يأتي الأخذ بالباطن، بعد الأخذ بالظاهر، والإقرار بالحقيقة بعد الأخذ بالشريعة، ويرون أن الحقيقة نفسها، أساس الشريعة.

ومدخل الصوفية في حل المشكلات الأخلاقية يتمثَّل في طريقين هما الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والمحبة فيه ويتحقق الإيمان بالعكوف على العبادة، والتأمُّل في عظمة الله، والمجاهدة النفسية، والجسمية، ثم تتم لهم المحبة والفناء في الله، داخل حدود الشريعة الإسلامية.

إن هذا الكتاب ليس مجرد بحث عملي نظري فحسب، بل له علاقة بالعقيدة وحياة المسلم العملية.

ISBN 983-41007-3-6

9 789834 100735